بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ، ونعوذُ بالله تعالى من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًاﷺ عبده ورسوله

وبعدُ..

فإن أصدق الحديث كتابُ الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمورِ مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكلَ بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار ثم

أما بعد ...

كنا نتحدث في توحيد الألوهية وذكرنا منه المبحث الأول معنى هذا النوع من التوحيد، وأدلته من القرآن والسنة، وأهميته أن الخصومة بين الرسل وأقوامهم تكون فيه.

وننتقل بعد ذلك إلى المبحث الثاني

المبحث الثاني

وجوب إفراد الله بالعبادة

وتحته مطالب

المطلب الأول

معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها

عندما أقول وجوب إفراد الله بالعبادة ما تساوي هذه؟

توحيد الألوهية، فعندما أقول وجوب إفراد الله بالعبادة هو حكم توحيد الألوهية بالضبط، فكأنه سيبدأ في تفصيل معنى توحيد الألوهية، وهو توحيد أي

إفراد يعني انقطاع المثل والنظير يعني عدم وجود شريك، هذا كله في العبادة،

إذن هو إفراد الله بالعبادة،

فلابد أن نعمل مبحث كامل على ما هي العبادة.

أضف إلى ذلك خطورة هذه القضية لِما ذكرناه آنفًا من أنها وظيفة المرء،

ما هي وظيفة الإنسان؟

{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦]،

وظيفة الإنسان هي العبادة، والله تعالى يجيبك عن هذا السؤال بوضوح تام،

يزيل عندك أي التباس، فأنت تسأل نفسك هذا السؤال مثلاً عندما تكون في

ملل أو فتور أو ضيق صدر أو شك، فيسأل لماذا أتيت إلى هذه الدنيا!

الدنيا فيها هموم وكذا فأنا متضايق ومللت!!

فما هذا الذي أنا فيه!!

كل ما فيه أنك تعمل عبد فقط، لذلك تتعامل مع العبادات ومع التكاليف أنها

مستحقة عليك، فهي ليست كلها فضائل إنما بها فرائض،

فما تفعله هذا مستحق عليك أن تعلم أنك عبد وأن أعمالك عليك مستحقة،

فهذا يجعل الإنسان يستقيم.

إذن مدار الاستقامة على معرفة الغاية من الخلق، ثم إلزام نفسك بهذا بالاستعانة بالله عز وجل.

فأنت تريد أن تقيم هذه العبادة فماذا تفعل؟

استعن {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:٥]،

والاستعانة عبادة أيضًا، العبادة معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها.

العبادة في اللغة معناها: الخضوع والذل، يقال: (بعير معبّد)، أي: مذلل.

بعير ليس شموذ فليس جامح أي تحت السيطرة، بعير تمسكه وتحركه سينقاد معك فهو مذلل، تجعله يمشي يمين فيمشي يمين وتجعله يمشي يسار يمشي يسار، تجعله يجري فيجري، توقفه يوقف، تنيخه يبرك على الأرض،

كل هذا معناه أنه مذلل معبّد.

فالإنسان المعبَّد أي العبد حركته فوق مراد سيده،

فهذا معنى كلمة معبّد مذلل،

ويقال أيضًا طريق معبد: أي طريق ممهد ومذلل

ليس فيه أي عقبة تمنعك من السير عليه، فلا يوجد أي معارضة أو مقاومة؟

فهذا هو معناه في اللغة.

إذن الناس تفهم في اللغة العرب عندما يستعملوا كلمة عبد يعبد عبادة معبّد معنى وهو الخضوع والذل.

ويقال أيضًا طريق معبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

هذا المعنى اللغوي.

أما التعريف الشرعي للعبادة فنجده تأتي بإطلاقين:

فالعبادة لها إطلاقان من الجهة الشرعية:

- الإطلاق الأول: العبادة تطلق على الفعل الذي هو التعبد الذي هو فعل المكلف.

فأقول عَبَدَ الرجل يعبد عبادةً،

إذن هو فعل المكلف نفسه وهو التعبد،

وهذه عندما نعرفّها نقول كما قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله تعالى:

هي: (كمال المحبة مع كمال الذل)، ونظمها في قوله:

وَعِبَادَة الْرَّحْمَن غَايَة حُبِّه مَع ذُل عَابِدِه هُما قَطْبَانِ

غاية حبه أي منتهى الحب مع ذل عابده هما قطبي العبادة.

وأيضًا عرّف ذلك الإمام السعدي رحمه الله بقوله:

العبادة روحها وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله؛ فالحب التام والخضوع التام الكامل لله هو حقيقة العبادة،

فمتى خلت العبادة عن واحد هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة فإن حقيقتها الذل والانكسار لله ولا يكون إلا مع محبته المحبة التامة والخضوع التام.

إذن هذا هو التعريف الأول للعبادة في لسان الشرع أو بالمعنى الشرعي إذا أُطلقت على فعل المكلف وهو التعبّد.

- الإطلاق الثاني: أنها تطلق على المفعول الذي هو المتعبَّد به أو القُربى، كما في تعريف ابن تيمية: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

إذن تم بهذا التعريف وما سيأتي بعده هو التفاصيل.

*وهذا التعريف فيه عدة فوائد:

الفائدة الأولى: أن ما لم يؤمر به شرعًا لا وجوبًا ولا استحبابًا لا يجوز أن أتعبد به، فالأشياء التي يحبها الله ويرضاها سأعرفها من الشرع،

إما سيقول لي افعلها وجوبًا أو يقول لي أن أفعلها استحبابًا،

إذن اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

إذن إذا كانت هناك بدعة هل يجوز أن تكون عبادة؟

لا، لماذا؟

لأنه ليس مأمورا بها لا وجوبًا ولا استحبابًا.

الفائدة الثانية: على هذا التعريف أن الأمر المباح مستوي الطرفين إذا احتفت به نية وقصد يرفعه إلى ما يحبه الله ويرضاه صار فيه معنى العبادة.

كقول معاذ: "إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي"،

يحتسب النومة لكي يقوم للصلاة، والوسائل لها أحكام،

فالقصد في النوم أنه مباح ومستوي الطرفين،

هذا يكون وسيلة لواجب أو مستحب وهذه هي قصده ونيته،

إذن وقتها سيلحق هذا للعبادة.

ثالثًا: الترك عبادة أم لا؟

الفائدة الثالثة: ترك الحرام امتثالاً عبادة، ترك المكروه امتثالاً عبادة.

يعني واحد يريد أن يشرب الخمر ولا يرضى فيقول أن العلماء على كراهة الشرب، فهو يترك هذا الأمر امتثالاً.

إذن ترك المحرمات والمكروهات امتثالاً أي بقصد التقرب يكون عبادة.

ويخرج عن هذا ترك المكروهات والمحرمات عادة ولم يخطر في باله التديّن بها، عادة قومه ألا يفعلوا ذلك،

المباحات نفس القصة ترك المباح امتثالاً إذا كان سيؤدي إلى مكروه أو إلى محرّم امتثالاً فهذا يدخل في باب العبادة،

نضرب لذلك مثال: الأكل فهو الأصل فيه أنه مباح،

فواحد يأكل كثيرا وممكن أن يموت من كثرة الأكل الأصل فهذا أيضًا أنه مباح، أي أنه مستوي الطرفين، لكنه سيفضي إلى غير ذلك كما في حديث أبي هريرة المشهور قال:

(اقعُدْ فاشرَبْ) . فقعَدتُ فشرِبتُ، فقال : (اشرَبْ) . فشرِبتُ، فما زال يقولُ : (اشرَبْ) . حتى قلتُ : لا والذي بعَثك بالحَقِّ، ما أجِدُ له مَسلكًا، قال : (فأرِني) . فأعطَيتُه القَدَحَ، فحمِد اللهَ وسمَّى وشرِب الفَضلَةَ ."

الراوي:أبو هريرةالمحدث:البخاري - المصدر:صحيح البخاري- الصفحة أو الرقم:٦٤٥٢

خلاصة حكم المحدث:[صحيح]

فترك هذه الحالة امتثالاً لأن البِطْنة تذهب الفطنة،

"ما ملأ أدمي وعاء شرا من بطنه"

وهذه الأشياء ستؤدي إلى أمراض،

وعندما نتحدث لا نقول أن الشبع مكروه، لكن ترك الطعام لئلا يشتبه على

الناس الأمر؛ فمثلا واحد يعمل في الحكومة،

وهو موجود في العمل مثل مثلاً لجان المهندسين التي تستلم أبنية أو للمعاينة،

أو خبراء القضاء يذهبوا لمعاينة قضايا وغيره،

المفروض أن يكون شخص محايد فإذا كان جائع في هذا الوقت أمر مباح،

لكن أكله هذا ممكن أن يُفهم منه أنه مرتشي أو أنه غير محايد،

فأكله هذا في هذا الوقت وهذا المكان يُفهم خطأ،

فنقول له أن ترك هذا الطعام في هذا الوقت سيفضي إلى ترك مكروه أو ترك محرم،

ووقتها يكون تعبد.

خلاصة الكلام اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه

-وسيبدأ في التفصيل-

من الأقوال والأعمال -ونضيف والتروك- الظاهرة والباطنة.

إذن أنت تريد أن تحقق وظيفتك ففهم العبادة بهذا المعنى الواسع يريح الصدر ولا يجعل المرء في حالة احتراب داخلي، أو في حالة منازعة مع المجتمع من حوله أو منازعة مع وظائف الحياة،

لأنني إذا علمت أنني سأذهب إلى العمل في الصباح،

فإذا قلت أن هذا العمل ليس بعبادة إذن أنا أضيع كل يوم من عمري تسع ساعات أو ثمان ساعات بدون أجر!!

فإذا قلت أن هذا العمل يرضي الله سبحانه وتعالى،

والأحاديث تحض على العمل، كفاية نفسي عن المسألة أو أكف نفسي عن الحرام هذا مطلب شرعي،

كفاية أهل بيتي زوجتي وأبنائي عن الحرام هذا مطلب شرعي،

فالطالب الذي يذاكر ويذاكر لكي يتخرج ويعمل،

يذاكر لكي ينجح ويكون بارا بوالديه،

يذاكر لأنها من وسائل تحقيق القوة.

إذا استشعر أحد هذه المعاني سيستمتع بحياته حقًا،

سيصلي ويعمل ويصوم وينكر المنكر ويطلب العلم ويعمل، وهو مستشعر أن حياته كلها عبادة لله عز وجل،

هذا معنى هام جدًا وهذا من ابداعات ابن تيمية رحمه الله رحمة واسعة،

الفهم العميق للقضايا الكبرى في الشريعة، هذه من أكبر القضايا وهو قضية

العبادة،

ما هي العبادة؟

وسيترتب عليها أيضًا أن صرف العبادة لغير الله شرك بالمعنى الواسع أيضًا،

فمن صرف النحر والذبح أو النذر أو التوكل أو الخوف من غير الله سيكون هذا الفعل شرك، سواء كان فعل باطن مثل الرجاء أو المحبة والخوف، أو سواء كان ظاهر مثل الذبح أو النذر باللسان أو الطواف بغير البيت الحرام أو غير هذا.

إذن هذه من القضايا الكبرى التي نحتاج إلى غلقها فهذه هي وظيفتك في الحياة نتقن هذا المعنى جيدًا،

بغض النظر عن الإمتحان فلابد أن نركز في هذا المعنى ونتقنه

ما المطلوب منك في الحياة؟

أنت تعمل عبد، فما هي العبادة؟

هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

إذن ما لا يحبه الله ويرضاه لا يجوز أن تتعبد به،

تتعبد بهذه الطريقة في أجواء الفتن والمشاكل واختلاط الحابل بالنابل يظهر

لك فعليا، هل فعلا بعض الحاجات فيها تسمى عبادة؟!!

انظر مع مرارة الظلم وخسة ونذالة من يتعدّى على بنات المسلمين،

أليس هذا تصرف خسيس وفيه ندالة؟

لكن ابتداءًا هل هذه الفتاة المسلمة ما فعلته عبادة!!

خروجها من بيتها ووقوفها وسط البلطجية والشرطة لا تقل عن البلطجية،

هل هذه عبادة!!

طبقها على المثال الموجود هنا "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه"،

هل يحب ويرضى الله عن هذا !!!

الأصل في هذا الأمر المنع، لكن احتفت به قرائن، فاضبط الإيقاع كاملاً في وسط هذا المعنى،

وأنا أقول مراجعة كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مثل هذه القضايا الكبرى وفي قضايا السياسة الشرعية، فأتمنى أن تراجعوا كتاب "السياسة الشرعية لابن تيمية" كتاب ليس بكبير وعليه شرح نفيس للشيخ ابن عثيمين جيد مطبوع يفك مشكلاته ويعلق على بعض المواضع فيه بطريقة بسيطة،

فستستطيع أن تقرأ الواقع في ظل النصوص الشرعية لا وَكَسَ ولا شطط.

إذن:

هو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال –ونضيف والتروك– الظاهرة والباطنة.

الأقوال الظاهرة مثل: أعلاها الشهادتين، بل هم أصل الدين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله،

الأقوال الظاهرة مثل تلاوة القرآن والتسبيح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان كل ذلك عبادة.

فبعض الناس عندما يأتي ويقول ما الذي فعلته أمام المشكلة الفلانية؟

فتقول أنا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر بلساني فيسخر منك!!

فلماذا تسخر من عبادة!!

أليس النبي ﷺ قال:

"فإن لَم يَستَطِع فبِلسانِهِ "

الراوي:أبو سعيد الخدري المحدث:مسلم – المصدر:صحيح مسلم– الصفحة أو الرقم:٤٩

خلاصة حكم المحدث:صحيح

ففهم هذه الأشياء بعمق سيربط الإيقاع العام الذي تعيش فيه،

إذن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الدعاء باللسان كل هذه عبادات قول لله عز وجل.

أقوال باطنة مثل: التصديق، قول الباطن هو قول القلب وهو التصديق وهذا يكون في كل مسألة، تصديق بوجوب الواجبات، كما في حديث جابر عند مسلم أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له:

"يا رسول الله أرأيتَ إذا صلَّيتُ الصَّلواتِ المَكتوباتِ وصُمتُ رَمضانَ وأحللتُ الحلالَ وحَرَّمتُ الحرامَ ولَم أزِدْ علَى ذلِكَ شيئًا أأدخُلُ الجنَّةَ ؟ قالَ : نعَم قالَ واللَّهِ لا أزيدُ على ذلِك شيئًا ."

الراوي:جابر بن عبدالله المحدث:مسلم – المصدر:صحيح مسلم– الصفحة أو الرقم:١٥

خلاصة حكم المحدث:صحيح

وأحللتُ الحلالَ: قال النووي "أي فعلته معتقدًا حله".

وحَرَّمتُ الحرامَ: أي تركته معتقدًا حرمته.

إذن هذا أمر قلبي وهو التصديق في كل مسألة، سواء من الأمور العلمية النظرية

مثل العقائد، أو الأمور العملية المتعلقة بالأفعال أفعال المكلفين.

إذن هذا تصديق في كل مسألة وتسمى هذه الأقوال الظاهرة والأقوال الباطنة.

أما الأفعال الظاهرة: فهي الجوارِح والنظر في المصحف وتلاوة كتاب الله عز وجل عبادة، النظر في الآء الله وآياته عبادة، النظر بإبتسامة في وجه المسلمين وبشاشة عبادة، النظر المحرّم تركه عبادة.

السماع، المشي، النفقة، الجهاد، الحج،

كل هذه أعمال ظاهرة.

وأعمال باطنة مثل: المحبة فالقلب له شيئان قول وعمل،

قول القلب التصديق، عمل القلب هو شيء زائد عن مجرد التصديق،

أنه يحب حركات القلب وسكناته، فالحب حركة قلب وعمل قلبي.

فحب المؤمنين عبادة وبغض الكافرين عبادة،

الخوف فحركة القلب من الخوف عبادة وهو الخوف من الله عز وجل،

الرجاء التوكل الإنابة الخشية الرغبة والرهبة كل هذه الأشياء تسمى أفعال وأعمال القلب.

إذن هو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

من الأقوال والأعمال (ونضيف والتروك) الظاهرة والباطنة.

التروك الظاهرة هي: ترك المحرمات الظاهرة،

كما نقول " وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ"،

هناك فواحش جمع فاحشة يعني الفعلة الفاحشة أي الكبيرة،

هناك فواحش منها الظاهر ومنها الباطن،

الفاحشة الكبرى مثل الزنا، إذن ترك الزنا امتثالاً هذا عبادة، ترك النظر المحرم امتثالاً عبادة، ترك الخمور والمخدرات والتدخين السجائر ترك كل هذا عبادة، وهذا يسمى ترك ظاهر.

ترك الغيبة وترك النميمة وترك قذف المسلمات ترك الكذب ترك المدح بغير حق والتي هي آفات الإنسان كل هذه عبادة.

ترك الاستماع –وأعلم أن هناك فرق بين السماع والاستماع

بعض الناس يقول والإجماع منعقد على عدم حرمة سماع المعازف،

نعم فواحد مثلاً يسير في الشارع وواحد مشغّل فرح فماذا نفعل!!

هذا يسمى سماع.

أما الاستماع أنك تطلب الاستماع فهذا فعل مكلف،

فهذا يُلبّس على الناس، السماع ليس فيه أي مشكلة بين العلماء،

فكلام العلماء على أنك جالس في بيتك وجارك عنده فرح فماذا تفعل!!

الصوت تسمعه رغمًا عنك– فترك استماع الحرام عبادة،

وهذا يسمى الترك الظاهر.

أما التروك الباطنة فمثل: الكِبر والحسد، غش المسلمين وإضمار السوء للمسلمين، الحقد العُجب والرياء وهي من أشد الأمراض الباطنة،

كل هذه المعاني تسمى فواحش باطنة.

إذن العبادة هي وظيفة العمر ومخلصها إذا كانت تتكلم عن فعل العبد المكلف هي حبه التام وخضوعه التام لله عز وجل فحب وذل.

أما إذا كنت ستتحدث عن المفعول فهو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والتروك الظاهرة والباطنة.

وهي تبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالى:

﴿وَيرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قال تعالى:

﴿ وَيخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

والحقيقة أن هذه تقسيمات اصطلاحية بعض العلماء يرى أن أركان العبادات

اثنين، وهما كمال الحب وكمال الذل، وبعض العلماء يرى أنهم هؤلاء الثلاثة، وبعضهم يضيف لهؤلاء الثلاثة ركن رابع يسمى التعظيم.

فالمسألة اصطلاحية.

أريدك أن تتخيل معي معنى أركان العبادة، فلن يتصور قيام للعبادة بدون هذه الأركان، فإذا أزلت واحد منهم العبادة تقع.

لا يُتصور من يسمى عابدًا مع قيامه بالذل الكامل والخوف الشديد إلا إذا كان محبًا لمعبوده.

لأنه يُتصور أن واحد يفعل كل ما يقال له وينفّذه ذلاً وقهراً وانكسارًا،

فهذا لا يسمى عبد وإنما اسمه مقهور وليس عبد،

والعكس واحد يحب واحد ويفعل كل ما أراده منه حباً فقط وليس للثاني عليه سلطان وليس له عليه أي تعظيم وليس عليه أي رهبة ولا خوف ولا أي شيء لا يصح.

إذن لابد للحب مع الذل ولابد الذل مع الحب.

هؤلاء الثلاثة أركان ابن تيمية أسماهم "محركات القلب".

اسأل نفسك سؤال : أمامي واحد أريده أن يمشي في طريق الالتزام،

وأنا نفسي أريد أن أسلك الطريق بجدية ماذا أفعل؟

القلب ملك البدن فإذا انفعل القلب بشيء تحركت له سائر الجوارح.

فكيف أحرك القلب؟ كيف أُحدث فيه حراك داخلي؟

ابن تيمية يقول هؤلاء الثلاثة " الحب والخوف والرجاء"،

هؤلاء إذا تحرك القلب بالمحبة أحب الله سبحانه وتعالى فسيطيع محبوبه،

ويفارق معاصي محبوبيه،

تعصي الإله وأنت تزعم حبه *** هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته فإلى المحب من المحب مطيع

فمن كمال المحبة لا يقوى قلبه على مشهد العصيان،

لا يستطيع أن يعصي من محبة الله عز وجل،

فلو استطعت أن أحرك قلب الإنسان الذي أمامي بذكر النعم بذكر الآلاء،

ودفع النقم و..و.. فسيحب الله سبحانه وتعالى،

أسماء الله مثل الودود اللطيف البر الرؤوف الرحيم،

كل هذه المعاني توجب محبة الله سبحانه وتعالى.

أيضًا بعض الناس من النوع الذي يخاف ولا يستحي، فكيف تحرّك قلبه؟

بالخوف وتكلمه بصورة منطقية جدًا،

فتقول له ربنا قادر وقاهر أم لا؟

فيقول نعم.

فتقول له أسماء القاهر الجبار المتكبر شديد العقاب،

من المجرمين منتقم سبحانه وتعالى وما إلى ذلك من المعاني الشديدة جدًا،

فتخاف من الله في الدنيا أن ينزل بك عقوبة كما قال عز وجل:

{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [الرعد: ٣١]،

قارعة ممكن أن تنزل فوق منك تقرعك في نفس أو في مال أو في ولد وممكن

أن تتعرض إلى خسارة مادية أو معنوية ويكشف الله ستره عنك،

اللهم استرنا في الدنيا والآخرة، ممكن أن تُفضح، وممكن وممكن ......

فيخاف من الله،

ويخاف من سكرات الموت وسلب الإيمان عند الموت،

وبعدها يخاف من عذاب القبر وبعدها يخاف من القيامة والنشور،

ثم المثول بين يدي الله يوم القيامة، ثم الجنة أو عدم جواز الصراط من على النار،

فيكون هناك تخويف مستمر من كل هذا.

كذلك الرجاء بعض الناس الذي يجعله ينشط للعمل إذا فتحت له باب الرجاء، تذكره بالجنة وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، التوبة وأن الله عز وجل توّاب يعني يقبل التوبة عن عباده، وأن الله سبحانه وتعالى يفرح بتوبة التائبين، والله سبحانه وتعالى يُرجى خيره وبره ورحمته في الدنيا والآخرة،

ويُفتح له باب الرجاء، فكل هذه محركات القلب.

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتاب في قوله سبحانه:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

[الفاتحة: ٢– ٤]،

فالآية الأولى فيها المحبة؛ فإن الله منعم.

من أين أتى بأنه منعم؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ فكأنها من لوازمها فالحمد يكون على النعمة،

وأوضح منها رَبِّ فالرب هو المربي بالنعم،

فهو رب العالمين وجدهم وحفظهم.

والمنعم يُحبُّ على قدر إنعامه،

والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجى رحمته،

والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

أي: أعبدك يا رب بهذه الثلاث: بمحبتك التي دل عليها:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالمِينَ﴾،

ورجائك الذي دل عليه: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾،

وخوفك الذي دل عليه: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

١ – الإخلاص فيها للمعبود؛

ما هي شروط العبادة؟

فواحد أتى بعبادة كيف تُقبل؟

أيضًا الله سبحانه وتعالى وضح لك ما هي مسوغات قبول العبادة،

لكي يكون كل إنسان على بيّنة من أمره،

وليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيا من حي عن بيّنة.

أول شيء وهو لم يذكره هنا وبعض الناس يكتبها هي الإسلام، فلو لم يكن

المرء مسلمًا موحدًا لم تنفعه العبادة،

للحديث المشهور حديث ابن جدعان وأن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت في صحيح مسلم قالت:

" يا رسولَ اللهِ ! ابنُ جدعانِ . كان في الجاهليةِ يصلُ الرَّحِمَ . ويُطعِمُ المسكينَ . فهلْ ذاكَ نافعهُ ؟ قال لا ينفعهُ . إنهُ لم يقُلْ يومًا : ربِّ اغفرْ لي خَطيئتي يومَ الدِّينِ."

الراوي:عائشة أم المؤمنين المحدث:مسلم – المصدر:صحيح مسلم– الصفحة أو الرقم: ٢١٤

خلاصة حكم المحدث:صحيح

كان يفعل خير كثير جدًا،

فيقول يارب سبحان الله عمل خير، ولكنه لم يؤمن بالبعث واليوم الآخر فلم يكن مسلما،

وقال عز وجل: { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]

والعياذ بالله أمر مفزع،

فهذا شرط بعض الناس لا يذكره من باب أننا نتكلم عن المسلمين،

فبداية هذا هو شرط الإسلام.

وعندنا هنا شرطان أول شرط:

الإخلاص فيها للمعبود؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه، سبحانه وتعالى قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]،

وقَال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]،

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

إذن أول شيء الإخلاص لله عز وجل،

الإخلاص هنا معناه: " تخليص العمل من الشوائب"

والإخلاص فيه تعريفات كثيرة جدًا،

وشوائب العمل هي شوائب النفس وإراداتها الفاسدة من طلب المدح والفرار من الذنب، والحرص على المنزلة عند الخلق،

كل هذه شوائب تقدح في الإخلاص.

إذن الإخلاص للمعبود إذا كان المرء يعمل عبادة أو يعبد الله عز وجل، أو يفعل

العبادة لابد أن يُخلص ويزيل أي شائبة، هو يريدها لله فقط.

قال رسول الله ﷺ في حديث عن رب العزة:

" أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ مَن عمِل عملًا أشرك فيه معِي غيرِي ، تركتُه وشركُه"

الراوي:أبو هريرةالمحدث:مسلم – المصدر:صحيح مسلم– الصفحة أو الرقم:٢٩٨٥ خلاصة حكم المحدث:صحيح

فالله لا يحب الشرك، كما من أسماء الله الوتر والله وتر يحب الوتر،

فالله سبحانه وتعالى أحد وليس له آخر،

إذن الله سبحانه وتعالى لا يحب الشرك،

ستشرك معه هو الغني سيترك لك الشركة كلها ويردّها،

إذن هذا هو معنى أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ.

٢- المتابعة للرسول ﷺ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ﷺ.

اتبعت النبي في شيء أي مشيت ورائه في شيء، تابعته أي سرت خلفه في هذا المجال، كما في قول النبي ﷺ :

"وصَلُّوا كما رأيتُموني أُصَلِّي"

الراوي:مالك بن الحويرث المحدث:البخاري – المصدر:صحيح البخاري– الصفحة أو الرقم:٦٠٠٨ خلاصة حكم المحدث:[صحيح]

إذن لكي تُقبل هذه الصلاة لابد أن تكون لله، تبتغي بها وجه الله عز وجل، ليس تريد منها مدح إلا من ربنا، ولا تريد منها منزلة إلا عند ربنا، ابتغاء وجه الله عز وجل.

كيف أصلي؟

تصلي المغرب ثلاث ركعات، بعد الركعة الثانية تجلس للتشهّد الأوسط، هي كذلك لا يجوز أن تصلي المغرب أربعة، فليس بمزاجك!!

تتابع النبي ﷺ وتتبعه متابعة النبي ﷺ .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:

٧]،

وقَال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله ﷺ : "من أحدثَ في أمْرِنَا هذا ما ليسَ منه فهو رَدٌّ"

الراوي:عائشة أم المؤمنين المحدث:مسلم – المصدر:صحيح مسلم– الصفحة أو الرقم:١٧١٨

خلاصة حكم المحدث:صحيح

فهو رَدٌّ أي فهو باطل، أي مردود عليه.

ربنا ينجينا ويرزقنا القبول.

أي مردود عليه، فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصا لله صوابا على سنة رسول الله ﷺ .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى في قوله عز وجل في سورة الملك

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]:

قيل له يا أبا علي : وما أحسن العمل ؟ قال: «أخلصه وأصوبه»، قيل يا أبا علي: وما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم

يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة»

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

جماع الدين أصلان ألا نعبد إلا الله –**هذا هو الأصل الأول ألا نعبد إلا الله وحده** – والأصل الثاني:

وأن نعبد الله بما شرع على لسان نبيه.

فلا نعبده بالبدع كما قال تعالى: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

ثم قال:

وذلك تحقيق الشهادتين.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أهمية المتابعة والإخلاص

أولا: أنهما شرطا لقبول العبادة، فمن ترك واحد منهما رُدّت عليه عبادته.

ثانياً: أن الله سبحانه وتعالى اختص نفسه بالتشريع، فأخبر سبحانه وتعالى أنه يحكم لا معقّب لحكمه.

ثالثًا: أن الله أنكر على من شرع شرائع من دونه،

فقال تعالى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}

[الشورى:١٣]

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

رابعًا: أن الله عز وجل كمل الدين، فمن أراد أن يلزم هذا الدين ويُسلم لرب العالمين فليتبع النبي ﷺ، قال تعالى :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

فمن لا يريد أن يتبّع النبي ﷺ أويريد أن يستدرك عليه هذا يحكم بأن الدين

ناقص،

خامسًا: لو أن كل إنسان حاد أو سوغ لنفسه الخروج للمتابعة لأصبح لكل إنسان شريعة خاصة، وهذا يفضي إلى التناحر تفتيت صف المسلمين.

وهذا هو المشاهد الآن كل ما الناس تبعد عن السنة كل ما الناس تحيد عن الوحي، ترى شحا مطاعا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

سادسًا: أن في ترك الاتباع إهمال لبعثة الرسل.

لأن الرسل بذلك الآن ليس لهم وظيفة!!!

فوظيفة الرسل هي توضيح المنهج أي الطريق ليسيروا عليه أتباعهم أو الذي يسير عليه من أراد الوصول إلى الله عز وجل.

لأن بعض الناس يستخف بقضية الاتباع، والبعض الآخر ممن سلك طريق التديّن وأخذ وصف الملتزم يستخف بقضية الإخلاص!!

لا، هذا مهم وهذا مهم.

المطلب الثاني

ذكر بعض أنواع العبادة

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها،

وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة على ذلك :

فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قال الله تعالى: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر: ١٤].

أي فأخلصوا الدعاء لله وحده والعبادة له وحده دون البشر.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]

المساجد فيها عدة تفسيرات:

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ

المعنى الأول: أي أماكن السجود جمع مسجد،

فالمساجد لله سبحانه وتعالى، بُنيت لعبادة الله فلا تدعو مع الله أحدًا لا في المسجد ولا خارجه.

المعنى الثاني: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ أي أعضاء السجود،

وأنت تسجد على سبعة أعظم، وهي الجبهة واليدين والركبتين والقدمين،

المساجد وهي أعضاء الله وهو خالقها،

وهو الذي يملكها كما قال عز وجل:

{أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس: ٣١]،

فمن يملك السمع والأبصار؟

الله سبحانه وتعالى فالمساجد أي أعضاء السجود ملك لله.

فلا تسجد بها إلا له سبحانه وتعالى، ولا تدعو بها أحد إلا هو سبحانه وتعالى.

المعنى الثالث: وأيضًا المساجد هو السجود جمع السجود،

يعني جمع سجدات الصلاة تسمى مساجد.

إذن المساجد لله الصلاة والسجود يكونون لله، فلا تدعو مع الله أحد.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥-٦].

استفهام استنكاري وليس استفهام حقيقي،

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}

ليس أحد... هذا هو أضل واحد في الدنيا وهو الذي يدعو غير الله ولا يستجيب له إلى يوم القيامة من دون الله.

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾

هذه الآلهة يوم القيامة تكون أعداء لعابديها.

قال عز وجل: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

يعني هم اتخذوا الآلهة لتكون لهم عزا، فالله يقول كَلَّا لن يحدث.

إذن هذه الآلهة ستأتي يوم القيامة أعداء لعابديها.

فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا.

ماذا يعني بأن يدعو الله عز وجل بغير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله؟؟

يعني يقول لواحد مثلاً اغفر لي، أدخلني الجنة.

أو يدعو مقبور مثلاً أنه يحيي له ميتًا أو يكشف عنه كربًا أو غير هذا،

هذا لا يقدر عليه إلا الله عز جل، سواء كان المدعو حيًا أو ميتًا،

إذن هناك أشياء لا يقدر عليها الإنسان أصلاً سواء حي أو ميت،

فمن الذي يملك القلوب؟

الله عز وجل.

من الذي يملك تفريج الكربات؟

الله عز وجل.

من الذي يملك مغفرة الذنب وقبول التوب وغير هذا؟

الله سبحانه وتعالى.

ومن دعا حيا، بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتا أو غائبا، بمثل هذا.

يعني واحد أتى على واحد غائب أي ممكن أن يكون حي ولكنه ليس في المكان مسافر مثلاً فلا يسمعه ولا يتصل به،

فيقول له أسقني أطعمني، مع أنه إذا كان الواحد موجود جائزاً ،

لكن إذا كان هذا الشخص غائب فتكون شرك.

إذن

ومن دعا ميتا أو غائبا، بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا.

***والدعاء نوعان:**

دعاء المسألة ودعاء العبادة.

١–فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة،

٢– ودعاء العبادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛

لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

دعاء العبادة يدخل فيه أن تثني على ربنا "اللهم أني أسألك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، يارحمن يارحيم يا حي يا قيوم"

كل هذا يسمى دعاء الثناء و دعاء عبادة.

ويقول أن كل طاعة تفعلها هي في الواقع دعاء عبادة لأنك بهذه العبادة تدعو أو ترجو أن يرزقك الله الجنة ويجيرك من النار.

وهناك أيضًا دعاء المسألة وهو أن تسأل الله صراحة: " اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني".

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

إذن الدعاء الذي هو عبادة والذي لا يصرف إلا لله نوعين دعاء المسألة ودعاء العبادة.

وكل الثناء على الداعين لله عز وجل أنهم على خير وأن الله سبحانه وتعالى يجيب دعوة الداعين أيضًا نوعين من الدعاء: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

نتوقف عند هذا الحد

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم